منهجية الشيخ محمد متولي الشعراوي في التفسير القرآني.

أ. حمو عبد الكريم

جامعة وهران

الإشكالية التي نلج بها الموضوع هي: ما منهجية الشيخ الشعراوي في التفسير القرآني؟ ولماذا يُوصف تفسيره بالتفسير اللغوي؟ وما هي أبرز سمات المنهج اللغوي في تفسير الإمام الشعراوي؟ ولكي نباشر الموضوع يجب تحديد عناصر البحث وهي كالأتي. مقدمة. صورة عامة عن تفسير الشعراوي. ملامح المنهج اللغوي عند الإمام الشعراوي.

مقدمة:

الحديث عن الشعراوي هو بمثابة قطرة من بحر لا ساحل له، فقَدْر الشيخ محمد متولي الشعراوي ورصد علمه ومنهجه، وتحليل مسالكه في الدعوة والبّلاغ إلى الله وعن الرسول (ص) يحتاج إلى جيل كامل من العلماء والباحثين؛ فجهده التفسيري ومرتبته الفقهية وتمكنه من فهم اللغة العربية وبيان معانيها وأسرارها... كل ذلك اكسبه مرتبة "العالِم" بحقول الشريعة الإسلامية والعارف للسانها العربي المبين.

هو الإمام[1] الذي انعقـدت لـه الإمامـة في علـم الظـاهر والبـاطن وفي علـم الشريعة والحقيقة؛ فقد ملك ناصية البيان في ظاهر الألفاظ وفي روح المعاني وخاطب العقول والقلوب معاً، وقدّم القرآن في خواطره كتاباً للحياة – كما أراده الله– فجعل آياته غضة طرية كأنها نزلت للتو واللحظة؛ فتصل إلى القلوب الولهة وترتوي العقول

المتعطشة، وتتذكَر الأنفس الغافلة، فتخـرج مـن الظلمـات إلى النـور بـإذن ربهـا إلى صراط مستقيم.

فقد استوعب مقاصد الشّريعة وروح الدين وجاءت فتاويه سلسبيلاً وشفاءاً أنار الطريق أمام الحيارى وحلّ كثير من معضلات الحيـاة بفقهـه الواسـع وبـصيرته النافذة، وانعقدت له مكارم الأخلاق سخاءاً وكرماً وحلماً وعفواً وتواضـعاً وفقـراً إلى الله "فكان مثال التعفف عن الدنيا وزينتها، وكان مثـال التّلطـف والـصفح عـن مخالفيه في الرأي ومعاديه، وكـان مثـال البّـذل والعطـاء بطلـب ومـن غـير طلـب، وتطايرت بوجوده الأخبار على كل لسان وفي كل مكان"[2]

صورة عامة عن الشعراوي.

الناظر في تفسير الإمام الشعراوي[3]، يجده لم يُدون تفسيره بيديه وإنما كُتب عنه، هو قدّم حلقات تلفزيونية فسر فيها القرآن الكريم لسنوات عديدة[4]، والشعراوي لم يصرح بأنه يفسر القرآن وإنما قال: "خواطرى حول القرآن لا تعنى تفسيراً للقرآن، وإنما هي هبات صفائية"[5]. والمتأمل إلى– المفسر الشعراوي- نجده يلتزم بمواصفات وأدوات المفسر للقرآن الكريم، والتي منها مالك لناصية علوم اللغة العربية، وعالما بأسباب نزول الآيات ومواطن نزولها والناسخ والمنسوخ وعلم القراءات...وله دراية بقصص الأنبياء وقارئاً لسيرة الرّسول (ص) وسير الصّحب الكرام، ومطلعا على جُل التفاسير السابقة...فهذه الشروط كلها وجدناها في شخص الشعراوي رحمه الله بالإضافة لورعه وزهده وحبه للعرب والمسلمين عامة. ومن هنا وجب علينا وصْفُ ما قدمه "تفسيراً قرآنيا"، وأما قوله خواطر أراد بذلك رحمه الله أن ينزع عن نفسه العُجب والتجرؤ في فهم وتأويل كتاب الله وهو عبد مأمور قد يركبه النقص لا طاقة له من الله إلا له.

إن تفسير الشعراوي المطبوع والموجود في الأسواق هو من إعداد وإشراف ابنه "سامي الشعراوي" وتحت إشراف الهيئة الأزهرية آنذاك، وقد قام الدكتور أحمد عمر هاشم بمراجعة وتنقيح التفسير والإذن بطبعه، وهو موافق للتفسير المُسَجل في التلفزيون، ويحتوي على عشرين مجلد تكلفت مطبعة أخبار اليوم بطبعه ونشره سنة 1997م.

حاول الشعراوي إبراز معجزة القرآن العلمية واللغوية والبلاغية وأنْ يُثبت العقيدة في نفوس المؤمنين، ويهتم بالإعجاز البياني للقرآن، والرد على مزاعم المستشرقين، مستعملا أسلوب الاستفهام والسؤال، عبر حلق وجماعات دائرية في المسجد، ويشرك جمهوره لا على سبيل الامتحان ولكن لاكتساب الاهتمام والمتابعة التي تظهر على وجوه مستمعيه. فيقدم الآية القرآنية ثم يليها بسؤال ثم يعلل ما استطاع إلى ذلك، ويأتي بنظائرها من القرآن لتجميعها لكي يفهمها السامع والمتلقي في جو إيماني صافي بمنطق متسلسل وبأسلوب بسيط مازجا في حديثه بين اللغة العربية واللهجة المصريةولا يكتفي بالحديث بل إن كل جسمه يتحدث فذراعه ورأسه وجسمه يميل بحيث تسهم هذه الحركات والسكنات في التأثير على سامعيه كما يؤثر الممثل في متفرج[6] فهو أحسن أحسن التفاسير لما فيه من قيمة إيمانية وقيمة تفاعلية وقيمة انتباهية. "حقيقة إن الشيخ الشعراوي يعتبر مجددا ومجتهدا في التفسير،كما أن الشيخ ينبذ التقليد ولا يتأثر بالتفسيرات السابقة عليه، ومثله في ذلك مثل العلماء المثقفين المتبحرين في العلم من أمثال الإمام محمد عبده وتلاميذه، وهو عالم مجتهد يسير في طريق الفقهاء السابقين المجددين من أمثال ابن تيمية وابن القيم، وقد يكون تأثره بهم وبغيرهم،إلا أنه يهمل إهمالا كاملا آراء السابقين الأولين ممن سبقوه في التفسير[7]

وإذا نظرنا إلى تفسيره بالدّقة نجده يتماشى مع الترتيب المصحفي للسُّور والآيات، و يذكر بعض الأحيان سبب نزول الآية وعلاقتها بما قبلها وبما بعدها، ويسْرُد الرأي الفقهي من غير أن يدخل في المناقشات الفقهية، كما نلاحظ أنه مُطَّلع على كم هائل من التفاسير ولهذا جاء تفسيره موضوعي لأن حاسة الشيخ اللغوية تدفعه إلى مزاجعة المفردة القرآنية في مضانها المتنوعة في مختلف سور القرآن متى وردت لأول مرة في النص القرآني، مراجعا ومدققا ومبسطا لجمهوره بحيث يفهمه المتعلم وغير المتعلم. "وأكبر ما يأسر النفس في تفسير الشعراوي سلاسة الأسلوب في كل اتجاه نحوي تشريعي فلسفي أو اجتماعي"[8].

منهجية الشعراوي في التفسير القرآني: تتجلى منهجيته في النقاط التالية:

1- إن تفسير الشعراوي أشبه بالتفسير الموضوعي فهو عندما يشرح آية يأتي بنظائرها وما يتفق معها في الموضوع ثم يقف كاشفاً عن الأسرار البلاغية التي تكمن في التفسير في هذا اللفظ في هذا الموضع مرجعا ذلك إلى النظم وأسرار التركيب ذاكر السّر في التقديم والتأخير والتعريف والتنكير وغير ذلك بناءاً على نظرته لمناسبة السياق والمقام.

2- التحليل اللغوي للكلمة وتأصيلها وبيان مشتقاتها ومعانيها وبيان المعنى المراد في سياق الآية التي يشرحها. يقول الشعراوي" ثقافتي عربية يعني بلاغة وأدب وصرف ونحو والعلوم العربية موضوعة عشان من أجل القرآن الكريم فإذا وقفت عند العلوم العربية فقط يبقى وقفت عند الوسيلة وأهملت الغاية فكان لازم استغل ما عرفته في خدمة القرآن الكريم"9.

3- شرح معاني الآيات وتفسيرها وتبسيطها بحيث يستوعب المعنى العميق كل من العالم والمثقف والأمي، فقبل أن يلقى تفسيره يرجع إلى التفاسير المختلفة

وينظر ماذا قال أصحابها بدليل ذكره لبعض أراء المفسرين خلال إلقاء خواطره كالرازي والزمخشري والألوسي وسيد قطب وغيرهم، وربما استعان بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن واستعان بالقواميس اللغوية كالمختار والصحاح مثلا...

4-- ضرب الأمثلة المحسوسة والتنبيهات التي تقرب المعنى البعيد؛ فهو كثير الإفادة من كل شي وذلك لا يكون إلا بالتأمل والتدقيق، وقد أفادت هذه الصفة الشعراوي في تفسيره، فهو يربط النَّص القرآني بشؤون الحياة ويضرب الأمثلة من الواقع مما يدل على اتساع تجربته الحياتية وخبرته الاجتماعية.

5-الجمع بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور؛ فيورد الآيات والأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين وسلف الأمة؛ فمنهجه الاعتدال والوسطية فلا تعصب ولا تطرف ولا غموض في الدين، مما جعل دروسه مادة طيبة في التربية والسلوك الاجتماعي.

6-الجمع بين الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي، فبعد عملية الاستقراء والتفكير والتحليل والاستنباط يقوم بتسلسل الأفكار ويسير فيها بنظام متزن فيبدأ بأبسط الأمور ويتدرج فيها حتى يصل إلى ما يريد، فغالبا ما يبدأ باللغة العامية وينتهي بها في جمل أكثر تركيباً في منظومة كلامية رشيقة تنير الفكر وترضي الوجدان.

7-اهتمامه بأسباب نزول الآيات واختياره لأصح المرويات[10].

8-يعتمد على احترام النص القرآني والتعامل مع الواقع بعقل منفتح وربط التفسير بمفاهيم العصر والتصدي للقضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تشغل ذهن المجتمع في وقته الحاضر[11].

9-يستعمل الشعراوي المنطق والفلسفة والقياس فيما استعمله الأقدمون، وكان يمضي في استنتاجاته إلى نهايتها مادام مطمئنا إلى وسائله ومقدماته؛ وما صيحات الاستحسان المتكررة التي تنطلق من أفواه المصلين الله! الله! لدليل على إقناعهم واقتناعهم. "فالعقل حين يقتنع يسكت أو على حد التعبير الصحيح يفخم... أما أن يصل الإقناع إلى حد انطلاق كلمة الله من الأفواه فذلك شئ لم نعرفه إلا في لقاءات الإمام من المؤمنين"[12].

ملامح المنهج اللغوي عند الإمام الشعراوي:

قسم العلماء اللغة إلى عدة مستويات تحليلية ليتمكنوا من كشف محتوياتها وإظهار أسرارها ومعرفة مضمونها، وتقسيم اللغة بهذا الشكل يخضع أساساً لموقف الباحث من اللغة والمنهج الذي يصطفيه لنفسه من بين مناهج التحليل. فقد رأي العالم اللغوي "ماريو باي" في مؤلفه أسس علم اللغة، أن دراسة اللغة تندرج في أربعة مستويات – وإنْ كانت الحدود بينها غير واضحة تماما على نحو دقيق – وهذه المستويات تشكل بناء اللغة العام وهي: المستوى الصوتي، المستوي الصرفي، المستوي النحوي، والمستوى المفرداتي وفيه ثلاث فروع: الاشتقاق، الدلالة، المعجم[13].ونحن في هذا الجزء من البحث سوف نبرز منهج اللغة في تفسير الإمام الشعراوي.

1-المستوى الصوتي:

يدرس هذا المستوى أصوات اللغة من ناحية طبيعتها الصوتية مادة خاما تدخل في تشكيل أبنية لفظية[14].

أ- موقفه من الحروف المقطعة في القرآن:

يرى الشعراوي أن كل آيات القرآن الكريم مبنية على الوصل..ما عدا فواتح السور المكونة من حروف فهي مبنية على الوقف.. فلا تقرأ في أول سورة البقرة: }الم{ والميم عليها ضمة. بل تقرأ ألفا عليها سكون ولاما عليها سكون وميما عليها سكون. وهذه الحروف حروف مقطعة ومعنى مقطعة أن كل حرف ينطق بمفرده. لأن الحروف لها أسماء ولها مسميات.. فالنّاس حين يتكلمون ينطقون بمسمى الحرف وليس باسمه.. فعندما تقول كتب تنطق بمسميات الحروف. فإذا أردت أن تنطق بأسمائها. تقول كاف وتاء وباء.. ولا يمكن أن ينطق بأسماء الحروف إلا من تعلم ودرس، أما ذلك الذي لم يتعلم فقد ينطق بمسميات الحروف ولكنه لا ينطقَ بأسمائها[15]. فأي معنى تدل عليه هذه الحروف؟

يقول: إن السؤال في أصله خطأ..لأن الحرف لا يسأل عن معناه في اللغة إلا إن كان حرف معنى.. والحروف نوعان: حرف مَبْنَى وحرف معنى. حرف المبنى لا معنى له إلا للدلالة على الصوت فقط. أما حروف المعاني فهي مثل في. ومن.. وعلى.. (في) تدل على الظرفية.. و(مِنْ) تدل على الابتداء و(إلى) تدل على الانتهاء.. و(على) تدل على الاستعلاء.. هذه كلها حروف معنى. وإذا كانت الحروف في أوائل السور في القرآن الكريم قد خرجت عن قاعدة الوصل لأنها مبنية على السكون لابد أن يكون لذلك حكمة...لذلك ذُكرت في القرآن كحروف استقلالية لنعرف ونحن نتعبد بتلاوة القرآن الكريم أننا نأخذ حسنة على كل حرف[16].

فمن منظور الشيخ رحمه الله أنه يجب أن لا نجهد أذهاننا لفهم هذه الحروف؛ فحياة الناس تقتضي منا في بعض الأحيان أن نضع رموز وكلمات لا معنى لها

بالنسبة لغيرنا.. وإن كانت تمثل قيمة ضرورية بالنسبة لنا تماما، ككلمة السِّر التي تستخدمها الجيوش لا معنى لها إذا سمعته ولكن بالنسبة لمن وضعها يكون ثمنها الحياة أو الموت. فهناك علاقة بين الصوت الذي يؤديه الحرف أو الحروف التي جاءت في أول السورة وبين المعنى وبعبارة أخرى هناك علاقة بين مبنى الحرف وبين ما يدل عليه من أحداث معبرة.

ب- الفواصل القرآنية:

يعرض الشعراوي وجوه الملائمة والانسجام بين مدلول الفاصلة ومدلول الآية السابقة وذلك في قوله تعالى: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ.." البقرة (76) وهذه الآية تتشابه مع آية تحدثنا عنها في أول هذه السورة.. وهي قوله تعالى: "وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ.." البقرة: 14 في الآية الأولى كان الدور لليهود، وكان هناك منافقون من غير اليهود وشياطينهم من اليهود... وهنا الدور من اليهود والمنافقين من اليهود. وفي سورة أخرى يقول الحق:{وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ}آل عمران: 119، وفي سورة المائدة يقول:{وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَقَدْ دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ}المائدة: 61. هنا أربع صور من صور المنافقين... كلها فيها التظاهر بإيمان كاذب[17].

ت- ملائمة اللفظ للسياق:

ذيل الله لفظة {تُحْشَرُونَ} ليخدم المعنى وليتناسب مع السّياق، فقال:{وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}[18]. وقد جاءت لتتناسب زحمة الحج؛ لأنه كما حشركم هذا الحشر وأنتم لكم اختيار، يحشركم وليس لكم اختيار؛ فإذا

كنت قد ذهبت باختيارك إلى هذا الحشر البشري الكبير في الحج فاعرف أن الذي كلفك بأن تذهب باختيارك لتشارك في هذا الاجتماع الحشد هو القادر على أن يأتي بك وقد سلب منك الاختيار[19].

شاء الله أن تكون كل كلمة في القرآن لها معنى دقيق مقصود لتناسب المقام والسياق، فنجده يقول:{إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} [الزخرف: 23] ولم يقل:"مُهتَدُون"بل قال: "مُّقْتَدُون"، والمقتدي من هؤلاء هو من اتخذ أباه قدوة، لكن المهتدي هو مَنْ ظن أن أباه على حق.إذن: فالمقتدي هو من لا يهتم بصدق إيمان أبيه، بل يقلده فقط[20].

ث- اختلاف الفواصل الأخيرة:

وذلك في قول الحق:{ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }[المائدة: 44]: وقوله:{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[المائدة: 45] وقوله:{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[المائدة: 47]. ويفسر الشعراوي فيقول: فإن حكم إنسان في قضية القمّة وهي "العقيدة" بغير الحق، فذلك هو الكفر، وإن ردّ الإنسان الحكم على منشئه -وهو الحق الأعلى- فهذا لون من الكفر.وإن آمن الإنسان بالقضية وهو مؤمن بالإله فغلبته نفسه فهذا هو الفسق، وإن حكم إنسان بين اثنين وحاد ومال عن حكم الله فهذا هو الظلم، إذن فـ "كافرون" و"ظالمون" و"فاسقون" تقول لنا: إن الألفاظ اختلفت باختلاف المحكوم به[21].

2- المستوى الصرفي:

هو المستوى الذي يدرس الصيغ اللغوية وأثر هذه الصيغ في الدلالة ويدرس الأثر الذي تحدثه زيادة بعض الوحدات الصرفية في أصل بنية الكلمة مثل

اللواحق التصريفية...والسوابق...والتغيرات الداخلية...وهذه الإضافات والتغيرات تشارك في الدلالة ويتأثر المعنى باختلافها ومقدار الزيادة في الكلمة[22].

أ- التغيرات الداخلية للمفردة كزيادة الألف للدلالة على المشاركة (المفاعلة):

وذلك في قوله تعالى:{وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً}[الأنبياء: 87] وكلمة "مُغَاضِب" غير كلمة "غَاضِبْ" فالغاضِب هو الذي يَغْضَب دون أن يُغضبه أحد، لكن المغاضب هو من أغضبه غيره. وكذلك كلمة هَجر و مُهَاجِر، فالمُهاجر هو من أجبره أناس على أن يهاجر، لكن من هجر هو من ذهب طواعية بعيداً. والمغاضبة ـ إذن ـ تكون من جهتين، وتسمى "مُفَاعَلَةٌ "[23].

ب- الاشتقاق الصرفي:

ننظر إلى مادة سقى جاءت في القرآن مرة "سقى". ومرة " أَسْقى"، وبعضهم قال: إن معناهما واحد، ولكن التحقيق أن لكل منهما معنًى وإن اتفقا في المعنى العام. فـ "سقى" في قوله:{وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً}[الإنسان: 21]. أي: أعطاهم ما يشربونه.. ومضارعه يَسقي. أما أسقى: كما في:{فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ}[الحجر: 22]. فمعناه أنه سبحانه أنزل الماء من السَّماء لا يشربه الناس في حال نزوله، ولكن ليكون في الأرض لمن أراد أنْ يشربَ.. فالحق لم يفتح أفواه الناس أثناء نزول المطر ليشربوا منه.. لا.. بل هو مخزون في الأرض لمن أراده. والمضارع من أَسْقى: يُسقي. إذن: هناك فَرْق بين الكلمتين، وإن اتفقنا في المعنى العام.. وفرْق بين أن تُعطي ما يُستفَادُ منه في ساعته، مثل قوله:{ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ..}

[الإنسان: 21]. ويبين أنْ تعطي ما يمكن الاستفادة منه فيما بعد كما في قوله:{فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ [الحجر: 22]

ت- صيغة المبالغة:

وذلك في لفظة "حَمِيدٌ" في قولـه} فَـإِنَّ اللهَ غَنِـيٌّ حَمِيـدٌ{ [لقمـان: 12] وزن "فَعِيْل" وتأتي مرة بمعنى "فاعل" مثل رَحِيم، ومـرة بمعنـى "مَفْعـول" مثـل قتيـل أي: مقتول، والمعنى هنا }حَمِيدٌ{ أي: محمود وجاءت هذه الصفة بعد }غَنِـيٌّ{ لأن الكافر لو كان يعلم أن الله لم يقطع عنه نعمه رغم كفره به لحمد هذا الإله الذي حلم عليه، ولم يعامله بالمثل[24].

3- المستوى النحوي:

هو المستوى الذي يختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية ويبين علم النَّحو وظائف الكلمات في الجمل والأثر الدلالي لاختلاف موقع الكلمة في التركيب[25].

أثر أدوات النحو في إظهار المعنى:

أ- الأثر الدلالي لـ "إنْ":

مثل قوله تعالى:{وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ}[النحل: 18]. وجاء الحق بالشكّ، فقال {إِنْ} ولم يقل:"إذا تَعُدُّون نِعمة الله"؛ لأن أمر لن يحدث، كما أن الإقبال على العَدِّ هو مظنَّة أنه يمكن أن يحصي؛ فقد تُعدُّ النقود، وقد يَعدّ الناظر طلاب المدرسة، لكن أحداً لا يستطيع أن يُعدّ أو يُحصى حبَّات الرمال مثلاً... وهذا شَكٌّ في أن تعدوا نِعمة الله[26].

ب- العطف.

ت- فمرة يقول الله{ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ }[الحجر: 1] ومرة يقول{ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ }[النمل: 1] ويأتي بالكتاب ويعطف عليه القرآن، أو يأتي بالقرآن ويعطف عليه الكتاب، مع أنهما شيء واحد، فكيف إذن يعطف الشيء على نفسه؟ قالوا: إذا عطف الشيء على نفسه، فاعلم أنه لزيادة وَصْف الشيء، تقول: جاءني زيد الشّاعِرِ والخطيبُ والتاجرُ، فلكلٍّ صفة منها إضافة في ناحية من نواحي الموصوف، فهو القرآن لأنه يُقرأ في الصدور، وهو نفسه الكتاب لأنه مكتوب في السطور، وهما معاً نُسمِّيهم مرة القرآن ومرة الكتاب، أمّا الوصف فيجعل المغايرة موجودة[27].

ث- من معاني حروف النحو

يقول الشعراوي لنا وَقْفة ومَلْحظ في قوله{عَلَى الْكِبَرِ}[إبراهيم: 39] حيث قال المفسرون: (على) هنا بمعنى (مع). و(على) ثلاثة أحرف و(مع) حرفان، فلماذا عَدَلَ الحق عن الخفيف إلى الثقيل؟ لا بد أن وراء هذه اللفظ إضافةً جديدة، وهي أن (مع) تفيد المعية فقط، أما (على) فتفيد المعية والاستعلاء، فكأنه قال: إن الكِبَر يا رب يقتضي ألاَّ يوجد الولد، لكن طلاقة قدرتك أعلى من الكِبَر[28] وأيضا في حرف الجر" فِيْ" في قوله:}فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ.{ [النحل: 36]. ويتسائل الشيخ: هل نحن نسير في الأرض، أم على الأرض؟ نحن نسير على الأرض وهذا هو فهمنا البسيط، لكن الشعراوي يقول:"أثبت لنا العلم أن الهواء المحيط بالأرض (الغلاف الجوي) هو إكسير الحياة على الأرض، وبدون لا تقوم عليها حياة، فالغلاف الجوي جزء من الأرض. وبذلك نحن نسير في الأرض، كما نطق بذلك الحق في كتابه العزيز[29]

وأيضا السّر في حروف العطف في قوله:{فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ..}[آل عمران: 137].وفي أخرى يقول:{ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُواْ..}[الأنعام: 11]. هل هذا مجرد تفنُّن في العبارة؟ يقول الشيخ: بل لكل منهما مدلول خاص، فالعطف بالفاء يفيد الترتيب مع التعقيب. أي: يأتي النظر بعد السَّيْر مباشرة.. أما في العطف بثُمَ فإنها تفيد الترتيب مع التراخي. أي: مرور وقت بين الحدثَيْن، وقول الحق سبحانه:} فَانظُرُواْ.{[النحل: 36]. فكأن الغرض من السَّيْر الاعتبار والاتعاظ، ولا بُدَّ ـ إذن ـ من وجود بقايا وأطلال تدلُّ على هؤلاء السابقين المكذبين، أصحاب الحضارات التي أصبحتْ أثراً بعد عَيْن[30].

السّر في اختيار الحرف "منْ" للنفي وليس حرف زيادة في قوله:}مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ{[المؤمنون: 9] وأتى بِمِنْ الدالة على العموم، يعني: ما اتخذ الله شيئاً من بداية مَا يُقال له ولد، ولو كان حتى مُتبنًّى، كما تقول: ليس عندي مال، فتنفي أن يكون عندك مال يُعْتد به أو ذو قيمة، لكن هذا لا يمنع أن يكون عندك عدة جنيهات أو قروش. فإنْ قلت: ما عندي من مال، فقد نفيتَ أنْ يكون عندك أقلّ ما يُقَال له مال. ونردّ بهذه المسألة على مَنْ يقول أن (من) هنا زائدة؛ لأن كلام الله دقيق لا زيادة فيه، الزيادة في كلام البشر، والحق سبحانه مُنزَّه عن هذه المسألة[31].

ث- يقف الإمام مُبينا السّر في تقديم "الأموال" وتأخير "الأولاد" في قوله: "وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ" الأنفال(28). يقول الشعراوي: لأن كل واحد له مال ولو لم يكن له إلا ملبسه. وبطبيعة الحال ليس لكل واحد أولاد. ثم إن الأبناء ينشئون من الزواج، ومجيء الزوج، يحتاج إلى المال؛ لذلك كان من المنطق أن يأتي الحق بالأموال أولاً ثم يأتي بذكر الأولاد[32].

4- **مستوى المفردات:**

هو المستوى الذي يختص بدراسة الكلمات المنفردة ومعرفة أصولها وتطورها التاريخي ومعناها الحاضر وكيفية استعمالها[33] ويندرج ضمنه: الاشتقاق، الدلالة، المعجم[34].

5- يهتم الشعراوي بإيحاء المفردة في الآية وما تبعثه في النفس من أثر، وذلك في قوله تعالى: "وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ.."البقرة(214)، فعندما نتأمل لفظة: }وَزُلْزِلُواْ{فأنت تكتشف خاصية فريدة في اللغة العربية، هذه الخاصية هي تعبير الصوت عن واقعية الحركة، فكلمة "زلزلوا" أصلها زلزلة، وهذه الكلمة لها مقطعان هما "زل، زل". و "زل": أي سقط عن مكانه، أو وقع من مكانه، والثانية لها المعنى نفسه أيضاً، أي وقع من مكانه، فالكلمة تعطينا معنى الوقوع المتكرر: وقوع أول، ووقوع ثانٍ، والوقوع الثاني ليس امتداداً للوقوع الأول؛ ولكنه في اتجاه معاكس، فلو كانت في اتجاه واحد لجاءت رتيبة، إن الزلة الثانية تأتي عكس الزلة الأولى في الاتجاه، فكأنها سقوط جهة اليمين مرة، وجهة الشمال مرة أخرى.وهكذا "الزلزلة" تحمل داخلها تغير الاتجاه الذي يُسمى في الحركة بالقصور الذاتي. و}وَزُلْزِلُواْ{ يعني أصابتهم الفاجعة الكبرى، الملهية المتكررة، وهي لا تتكرر على نمط واحد، إنما يتعدد تكرارها، فمرة يأخذها الإيمان، ثم تأخذها المصائب والأحداث[35].

6- الاشتقاق.

يعطي الامام الشعراوي الإطار التاريخي للفظة "مُلْك" في قوله تعالى:"إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" التوبة (116). فمادة الـ (م. ل. ك) يأتي منها "مالك"،

و"مَلك"، و "مِلْك"، ومنها "مُلْك"، ومنها "مَلَكُوت"، و"المِلْك" هو ما تملكه أنت في حيزك، فإن كان هناك أحد يملكك أنت ومن معك ويملك غيرك، فهذا هو المَلِك، أما ما اتسع فيه مقدور الإنسان أي الذي يدخل في سياسته وتدبيره، فاسمه مُلك، فشيخ القبيلة له مُلك، وعمدة القرية له مُلك، وحاكم الأمة له مُلك، ويكون في الأمور الظاهرة...وأما المَلَكوت فهو ما لله في كونه من أسرار خفية مثل قوله:{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ..} [الأنعام: 75][36].

أ- الدلالة:

ب- فالملحظ الدلالي في كلمة (الغّل) في قوله تعالى:"وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ" آل عمران 166. فـ "الغُلول" هو الأخذ في الخفاء. وهو مأخوذ من "أغَّل الجازر" - أي الجزار - أي عندما يسلخ الجلد يأخذ بعض اللحم مع الجلد، ثم يطوي الجلد مخفياً ما أخذه من اللحم، هذا هو الأصل، وأطلق شرعا على الخيانة في الغنائم، ففي هول المعارك قد يجد المقاتل شيئا ثمينا فيأخذ هذا الشيء خفية، وهذا اسمه "الغُلول"، وأيضا كامة "الغل في الصدور"أي إخفاء الكراهية[37]

أيضا انتقال دلالة اللفظ من الأمر الحسي إلى الأمر المعنوي، فكلمة منافقين في قوله تعالى: "فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ.."(النساء 88)، نجد أنها مأخوذة من أمر حسي كان يشهده العرب في بيئتهم، حيث يعيش حيوان اسمه "اليربوع" مثله مثل الفأر والضب. واليربوع مشهور بالمكر والخداع، ولكي يأمن الحيوانات التي تهاجمه فإنه يبني لنفسه جحرين، أو جحورا متعددة، ويفر من الحيوان المهاجم إلى جحر ما، ويحاول الحيوان المهاجم أن ينتظره عند فوهة هذا الجحر، فيتركه اليربوع إلى فتحة أخرى، كأن اليربوع قد خطط وأعد لنفسه منافذ حتى يخادع، فهو يصنع

فوهة يدخل فيها في الجحر، وفوهة ثانية وثالثة، وذلك حتى يخرج من أي فتحة منها، وكذلك المنافق[38]

ت- المعجم:

يلتفت الشعراوي في تفسيره إلى أصل الكلمة والمعنى المعجمي الذي يطرأ على المفردة في سياقاتها المتنوعة وذلك في كلمة "الْقَاسِطُ"في سورة الجن الآية 15:{وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً}، فالقاسط من قسط. أي: الجائر بالكفر. أما في قوله:{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[المائدة: 42] فالمقسط من أقسط: العادل الذي يُزيل الجوْرَ. وإنْ كانت المادة واحدة هي (قَسَط) فالمصدر مختلف نقول: قسط قِسْطاً أي: عدل، وقسط قَسْطاً وقسوطاً يعني: جار. فهذه الهمزة في أقسط تسمى"همزة الإزالة". ومن الفعل الثلاثي قَسَطَ يستعمل منها:القسط والميزان والفرق بين قَسَط وأقسط: قسط أي: عدل من أول الأمر وبادىء ذي بَدْء، إنما أقسط: إذا وجد ظُلْماً فرفعه وأزاله، فزاد على العدل أنْ أزال جَوْراً.وأيضاً الفعل (عَجَمَ) عجم الأمر:أخفاه، وأعجمه أزال خفاءه.ومن ذلك كلمة المعجم الذي يزيل خفاء الكلمات و يوضحها[39]

وأيضا المعنى المعجمي في كلمة "بُنْيَان" في قوله:« أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ.. » التوبة (109)، نجد كلمة "بُنيان" هي مصدر "بنى" "بُنياناً" لكن أطلق على الشيء المبني، فنقول: إن هذا البنيان جميل، إذن هناك فرق بين عملية البناء وبين الشيء الذي ينشا من هذه العملية، وكلمة البنيان اسم جنس جمعي، لأنه يصح أن يكون جمعا ومفرده "بنيانة" مثلما نقول"رمان" مفرده "رمانة"، و"عنب" مفرده "عنبة"، أيضا "روم" مفرده "رومي" فياء النسب هنا دخلت على الجمع فجعلته

مفرد، إذن يفرق بين الواحد والجمع، إما بالياء وإما بالتاء[40] يتعامل الشعراوي مع اللفظ القرآني بطريقته الخاصة إنه يستنطقه ويستوفيه ويشعر به ويحاوره و"كأنه كائن حي يتأمل قسماته ويجبس نبضاته ويستمع إلى خلجاته، لذلك تجده في كثير من الألفاظ يأتي بما لا يعلم لمناسبة يلحظها في السياق أو في التركيب واللغة العربية لغة معطاء تحي بكثير من المعاني متى وقف الدارس أمامها وقفة المتفرس وكان ذا شفافية يصل إلى المسكن الدفين"[41].

الخاتمة: الشعراوي كمفسر وعالم من علماء الأزهر، استطاع أن يجمع المسلمين لحضور ومشاهدة وسماع تفسير القرآن الكريم حول الشاشة التلفزيونية الصغيرة؛ وينهلوا من رحيق علمه وليقتبسوا من فيوضاته الربانية أزكي كلام وأحلى مواعظ، فكان هدفه– رحمه الله– أن يرتقي بهؤلاء جميعا إلى مدارج الإيمان بالله والهداية إلى طريقه، وانتهاج السلوك السليم والنفس المطمئنة والشخصية الآمنة.

وقد وجد فيه المسلمون علم ابن عباس وابن كثير والزمخشري والألوسي وعلم ابوحنيفة ومالك بن أنس والشافعي وعلم الإمام البخاري ومسلم والترمذي...لكن بلغة هذا العصر وسياقات العصر، فنقل علم هؤلاء في جنبات المسجد مع المصلين من الشباب والشيب ومن الرجال والنساء من المثقفين والأمين ، ولا يزال تفسيره تلهج به الألسنة وتستقي من الأبحاث الدرر الثمينة والكنوز العلمية العجيبة – رحمه الله تعالى.

الهوامش

1- هو السّيد الشريف محمد بن السيد متولي الشعراوي الحسيني نسباً، ولد يـوم الأحـد 17 مـن ربيع الثاني سنة 1329هـ الموافق لـ15 ابريـل عـام 1911م، بقريـة دقـادوس مركـز ميـت غمـر بمحافظة الدقهلية والدته اسمها حبيبة ينتهي نسبها من ناحية والدها إلى الإمام الحسين بن على كـرم الله وجهه. لقبه والده بـ"أمين" وهو والد لثلاثة ذكور وبنتين. توفى رحمة الله عليه في 17 من يونيـو 1998م، عن سبع وثمانين عاما وشهرين وسـتة عـشر يومـاً، ودفـن في قريتـة دقـادوس. لم يـترك الشعراوي مؤلفاً أو مطبوعاً وإنما كان همُّه صناعة الرجال وتكوين الأجيال وما هو منـشور هـو مـا كتبه أبناءه وأصدقائه ومحبيه راجع: الشعراوي الذي لا نعرفه، سعد أبو العيـنين، ص 15. وراجـع: روحانيات وذكريات الشعراوي أحمد فرغلي، ص106.

2- حلمي عبد المنعم صابر، براعة الإمام في تحليل بعض حروف القرآن، مكتبة الشروق، القاهرة، 1999، ص02.

3- تفسير الشعراوي، مطبعة أخبار اليوم، قطاع الثقافة، القاهرة، 1997م، طبع بإذن من عائلة الشعراوي وإشراف ابنه سامي الشعراوي.

4- بدأت شهرة الشعراوي مع برنامج نور على نور الذي قدمه الأستاذ أحمد فـراج عـام 1973 ونال إعجاب الجماهير المصرية ثم الملايين الشعبية العربية والمسلمة.

5- تفسير الشعراوي، مطبعة أخبار اليوم، القاهرة، 1997م، ص01

6- جمال البنا، تفسير القران الكريم بين القدامى والمحدثين، دار الشروق، القـاهرة، ط1، 2008، ص157.

7- محمد أمين إبراهيم التندي، أضواء على خواطر الشعراوي ومنهجه في تفـسير القـرآن، مكتبـة التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 1990م، ص 13.

8-محمـد رجـب البيومي،محمـد متـولي الـشعراوي جولـة في فكـره الفـسيح،مكتبة دار الـتراث الإسلامي،القاهرة،ط 1999 ص 70

9- طارق حبيب، من الألف إلى الياء، الرمز العربي، القاهرة، بدون طبعة، ص 95.

10- أحمد عمر هاشم، الإمام الشعراوي مفسرا وداعية، أخبار اليوم، القاهرة، بدون طبعة، صص 51/ 54.

11- أحاديث إلى الشباب صص 16/ 17.

12- عبد العظيم رمضان، الأهمية التاريخية للشيخ الشعراوي، جريدة الأهرام ، يونيو 1998م.

13- ماريو باي، أسس علم اللغة العام، ترجمة احمد مختار عمر، عالم الكتب، 1998م، ط 8، صص 43/ 44.

14 - محمود عكاشة، التحليل الغوي في ضوء علم الدلالة، ص 13.

15 - تفسير الشعراوي، مطبعة أخبار اليوم، قطاع الثقافة، القاهرة، 1997م، ص 103.

16- المرجع السابق، ص 106.

17- المرجع السابق، ص407.

18- البقرة، الآية 203.

19- تفسير الشعراوي ، ص 863.

20- المرجع السابق، ص 5827.

21- المرجع السابق، ص 3163.

22- محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 13.

23- تفسير الشعراوي، ص 9620.

24- المرجع السابق، ص11634.°

25- محمود عكاشة، التحليل الغوي في ضوء علم الدلالة، ص 14.

26- تفسير الشعراوي، ص 7856.

27- تفسير الشعراوي، ص 10728.

28- المرجع السابق، ص 9029.

29- المرجع السابق، +ص 7923.

30- المرجع السابق، ص 7624.

31- المرجع السابق، ص 10132.

32- المرجع السابق، ص 4670.

33- محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، 2003، ص 8 وما بعدها.

34- ماريو باي، أسس علم اللغة العام، ص 44.

35- تفسير الشعراوي، ص 915.

36- المرجع السابق، ص 5545

37- تفسير الشعراوي، ص 1840.

38- المرجع السابق، ص 5212.

39- المرجع السابق، ص 9254.

40- المرجع السابق، ص 5502.

41محمد رجب البيومي، محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الفسيح ، ص 69.